

تفسير ابن كثير

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ^{لَا} إِن هَٰذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وتمردهم وعنادهم ، ودعواهم الباطل عند سماع

آياته حين تتلى عليهم أنهم يقولون : (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا منهم قول لا

فعل ، وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله فلا يجدون إلى ذلك سبيلا .

وإنما هذا قول منهم يغرون به أنفسهم ومن اتبعهم على باطلهم . وقد قيل : إن القائل لذلك

هو النضر بن الحارث - لعنه الله - كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير ، والسدي ،

وابن جريج وغيرهم ؛ فإنه - لعنه الله - كان قد ذهب إلى بلاد فارس ، وتعلم من أخبار

ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بعثه

الله ، وهو يتلو على الناس القرآن ، فكان إذا قام - صلى الله عليه وسلم - من مجلس ،

جلس فيه النضر فيحدثهم من أخبار أولئك ، ثم يقول : بالله أيهما أحسن قصصا ؟ أنا أو

محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى ، أمر رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - أن تضرب رقبة صبرا بين يديه ، ففعل ذلك ، والله الحمد . وكان

الذي أسره المقداد بن الأسود - رضي الله عنه - كما قال ابن جرير :حدثنا محمد بن
بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال :
قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر صبرا عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي ،
والنضر بن الحارث . وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله ، قال المقداد : يا رسول
الله ، أسيري . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إنه كان يقول في كتاب الله -
عز وجل - ما يقول . فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقتله ، فقال المقداد : يا
رسول الله ، أسيري . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم أغن المقداد من
فضلك . فقال المقداد : هذا الذي أردت . قال : وفيه أنزلت هذه الآية : (وإذا تتلى عليهم
آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) وكذا رواه هشيم ،
عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية ، عن سعيد بن جبير ؛ أنه قال : " المطعم بن عدي بدل
" طعيمة " وهو غلط ؛ لأن المطعم بن عدي لم يكن حيا يوم بدر ؛ ولهذا قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - يومئذ : لو كان المطعم حيا ، ثم سألتني في هؤلاء النتنى لو هبتهم له
- يعني : الأسارى - لأنه كان قد أجاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم رجع من

الطائف .ومعنى : (أساطير الأولين) وهو جمع أسطورة ، أي : كتبهم اقتبسها ، فهو

يتعلم منها ويتلوها على الناس . وهذا هو الكذب البحت ، كما أخبر الله عنهم في الآية

الأخرى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم

السرف في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما) [الفرقان : 5 ، 6] . أي : لمن تاب

إليه وأناب ؛ فإنه يتقبل منه ويصفح عنه .